البنية القصصية في أدب الطفل
نماذج قصصية في أعمال – محمد ناصر –
The narrative structure in children's literature
Examples of stories in the works - Mohamed Nasser

عماري محمد

جامعة زيان عاشو الجلفة، الجزائر، m.amari@yahoo.com،

تاريخ الاستلام: 2021/07/10 تاريخ القبول: 2021/08/14 تاريخ النشر: 2021/09/07

الملخص:

تعتبر القصة من النصوص التي لها مكانة بارزة بين الأجناس الأدبية الأخرى لما تتسم به من غرس البذور الأولى لترقية الحس الجمالي والذوقي لدى الأطفال لتثمر فيما بعد نفسا إنسانية سوية متشبعة بالقيم السامية والمبادئ النبيلة. وللقصة القدرة الكبيرة على إشباع حاجات الطفل سواء أكانت تلك الحاجات فنية جمالية أم حاجات نفسية أو تربوية منظمة لفكره وسلوكه وانفعالاته ، وأديب الأطفال حين يوجه لغته القصصية للمتلقي الصغير فإنما هو يسهم وبشكل كبير أو بآخر في تنمية تلك الحاجات وبنائها، ويساعده في ذلك أكثر مهارته العالية في معرفة عالم الطفل ليتخذ منه مجالات كتاباته حيث نجدها تتباين إلى درجة كبيرة وتتخذ أشكالا عديدة منها الخيالية والدرامية والأسطوريةالدينية و التاريخية و الشعبية والفكاهية ..

الكلمات المفتاحية :أدبالطفل،القصة،البنيةالقصصية،محمدناصر

Abstract:

The story is considered one of the texts that has a prominent position among other literary races because of its planting of the first seeds for the promotion of the aesthetic sense and taste in children to develop later on a normal human soul saturated with noble values, principles and principles. The story has the great ability to satisfy the needs of the child, whether those needs are artistic, aesthetic, psychological, or educational needs that regulate his thought, behavior and emotions. In the knowledge of the child's world to take from it the fields of his writings, as we find them vary to a great degree and take many forms, including fiction, drama, mythical, religious, historical, popular, and humorous ...

Keywords :Children's literature, the story, the narrative structure, Muhammad Nasse

مقدمة :

الطفولة في جميع أقطار العالم تحظى بإهتمام كبير ، ذلك لأنَّها عماد المستقبل ، و قد أخذ أدب الطفل جانباً كبيراً من هذا الاهتمام و ارتكز أساسا على إنتاج القصة الموجهة للطفل .

فكتابة القصة ، أمر صعب كون الكتابة لها تحتاج إلى العناية الفائقة و القدرة على التحكم من قِبل القاص ، كما تحتاج الى نوع من الموهبة الحقيقية و إلى إدراك حقيقي لحاجات الطفل ، وفق مراحله العمرية ، و لغرس الأثر الذي يخدم شخصيته .

وقد آن الأوان أن نؤدي هذا الحق في كل مجال من مجالاته التي تتيح لأبنائنا و بناتنا قضاء طفولة سعيدة بأسلوب صحي و سليم يمكنهم من حمل أعباء المستقبل بقوة و عزيمة و إيمان ، و كونه كذلك بات متأخراً نوعاً ما في بلادنا ، على غرار الدول الأخرى ، غير أنّ هناك من سعى جاهداً للنهوض بهذا الفضاء الأدبي ، محاولاً إرساء قواعده على الساحة الأدبية الجزائرية و من بين هؤلاء المتنافسين في هذا المجال نجد مجموعة من الكتاب الجزائريين نذكر منهم : الكاتب مصطفى محمد الغماري ، محمد الحجازي ، عبد العزيز بو شفيرات ، و الكاتب محمد ناصر ... و غيرهم ممَّن خاضوا العراك بأوسع حدوده على المستوى الأدبي كله و التي اجتاحت فضاء الطفولة و البراءة في أدب الطفل ، و ارتأيت إلقاء نظرة على أعمال محمد ناصر القصصية من حيث الرؤية الفنية باعتباره رائداً من رواد هذا اللون المتضمن " لأدب الطفل " في الجزائر ، محاولاً تسليط الضوء على بعض الكتابات القصصية عند محمد ناصر ، التطرق إلى أهم المراحل التي مرّ بها هذا الأدب ، من النشأة إلى التطور في الساحة الأدبية مستعيناً بالمنهج التاريخي و مستعيناً في دراسته الفنية للموضوعات القصصية على المنهج التحليلي و منه يطرح الإشكال التالي : ما الإسهام الذي أضافته القصة لأدب الطفل من أجل إشباع حاجاته النفسية و العقلية ؟ و ما الدور الذي لعبه محمد ناصر كقاص و مبدع من أجل ترقية الذوق العام لديه من خلال مجموعته القصصية الموجهة للأطفال ؟

مفهوم أدب الطفل :

الوصول إلى قلب الطفل يتطلب مهارات كتابية عالية كون هذه الأخيرة تعتبر نوع من التربية و كاتب الأطفال هو بالدرجة الأولى مُرَبٍ قبل أن يكون مؤلف قصّة أو رجل مسرحٍ ، و لا بد له من موهبة حقيقية صادقة ، و الأدب هو تشكيل أو تصوير تخيلي للحياة و الفكر و الوجدان ، من خلال (أبنية) لغوية ، وهو فرع من فروع المعرفة الإنسانية العامة ، يعني بالتعبير و التصوير

فنيّاً و وجدانياً عن العادات و الآراء و القيم و الآمال و المشاعر ، و غيرها من المقومات ، و يشمل هذا الأدب الراشدين في مراعاته حاجات الأطفال و قدراتهم و خضوعه لفلسفة الكبار في التثقيف أطفالهم و هذا يعني أنّ أدب الأطفال من الناحية الفنية له نفس مقومات الأدب عامة ، أي انّ مقومات أدب الاطفال وأدب الراشدين تكون واحدة .وأدب الاطفال كما يرى –سمير عبد الوهاب – هو إبداع مؤسس على خلق فني ،ويعتمد بنيانه اللغوي على ألفاظ سهلة ميسرة وفصيحة ، تتفق والقاموس اللغوي للطفل حيث تقف أساليب مخاطبتها ، وتوجهاتها بمخيلته وآفاقه ، ونتائجه، وأدب الأطفال متعدّد الجوانب ،ومتغير الأبعاد طبقا لِاعتبارات كثيرة ، فهو لا يقف عند حدود القصة أو الانشودة أو المسرحية ، وإنّما يتعدى المعارف الانسانية كلّها بصرف النظر عن الشكل الفني أو الأدبي الذي عرضت من خلاله . 1

ولقد أطلق الباحثون و خبراء التربية تعريفات كثيرة عن أدب الأطفال ،الذي هو في الواقع أدب جديد لم ينل العناية الكافية في عالم الأدب و التربية ، و قد حاولوا الكشف عن معانيه و فنونه و اتجاهاته ، سعيّاً منهم لإبراز أهميته في بناء شخصية الإنسان .

و لقد عرّف الباحثونالمعاصرون أدب الأطفال بأنه مجموعة من الإنتاجات الأدبية التي تقدم للأطفال فتراعي حاجاتهم و رغباتهم و مستوياتهم العمرية و الجسدية و الفكرية و المشاعر ، و يدخلوا في هذا الإطار كل ما يقدم للأطفال شفاهة ، في مرحلة الروضة و الحضانة و في نطاق الأسرة و المدرسة .2

و مجالات الكتابة للأطفال تختلف و تتباين إلى درجة كبيرة و تتخذ أشكالاً عديدة منها المسرحيات ، الشعر البرامج الإذاعية و التلفزيونية ، البرامج المسجلة ، الأفلام السنيمائية ، و القصة و هي ما سنتوسع فيه في مداخلتنا هذه .

أدب الأطفال عند الغرب :

يعدّ كل من أفلاطون و أرسطو ، أعمق مفكرين تناولا مشكلة التربية ، و التعليم في العصور القديمة ، و ناقش أفلاطون هذه المشكلة في كتابه " الجمهورية و القوانين " و في رأي أفلاطون أنّ التربية تماثل نمو النبات ، و أنّه كما يجب تعهد النبات الصغير لحمايته ممّا يضرّه ، و يعوّق نموه ، يجب أيضاً حماية الطفل الصغير من التأثيرات الطبيعية و الاجتماعية التي تحول دون تقدّمه ، و أنّ زمن الطفولة. هو أفضل وقت ممكن أن يتكوّن فيه الخلق ، و عند

أفلاطون تبدأ التربية في المرحلة السابعة لولادته كذلك أرسطو نهج نفس المنهج فالتربية كانت في زمانهم تقتصر على الأسرة حتى يذهب إلى المدرسة .3

أما عن أدب الأطفال في العصر الحديث ، فقد اختلف اختلافا جذرياً عمّا كان عنه في الحضارات السابقة، حيث أن أدب الأطفال كانت الرائدة فيه فرنسا ، حيث ظهرت بها في أواخر القرن السابع عشر مجموعة قصصية للأطفال بعنوان " حكايات ماما وزّة CONTES DE MA MÈRE L'OYE" التي ألفها الكاتب الفرنسي " شارل بيرو CHARLE Perrault " نشرها سنة1967 و قد ضمن هذه المجموعة عدداً من العناوين المشهورة التي ترجمت فيما بعد إلى معظم لغات العالم مثل " ساندريلا " , " الجميلة النائمة " ، " ذات القبعة الحمراء " ، " أقاصيص و حكايات الزمن الماضي " ، " زمن الجنّيات و العفاريت " ، "الغول" .4

أمّا عن أدب الأطفال في انجلترا فقد كان يغلب عليه صرامة التعاليم الدينية و التربية البروتستانتية ، و لم يستفد من الحكايات الفولكلورية كما استفادت آداب الأطفال لدى الأمم الأخرى .

و من أشهر كتّاب الأطفال في اللغة الإنجليزية (لويس كارول) الذي نشر سنة 1865 حكايات (آليس في بلاد العجائب) التي كانت منطلقاً للحكايات الخرافية .

كما ظهر في الدنمارك كاتب الأطفال الشهير" هانز كريستيان أندرسون " (1805–1875) و الذي اشتهر بكثرة تجواله في بلدان العالم الذي تعرّف من خلالها على ثقافات العالم كما اشتهر ببساطة أسلوبه ، ظهر أول كتاب له بعنوان " حكايات للأطفال" في عام 1835 ، ثم تبعته كتب أخرى و من أشهر قصصه للأطفال " ثياب الإمبراطور الجديدة " و " مملكة الثلوج " و امتدّت العناية بأدب الأطفال لتشمل العالم كلّه ، و اهتمت به كل الأمم على اختلاف امكاناتها ، بحيث لا نجد أمة أو شعباً أو لغة إلّا و لها مشاركة في أدب الأطفال تأليفا أو ترجمة . 5

أدب الأطفال عند العرب :

كانت العرب في الماضي تروي الأساطير و الحكايات الشعبية في الخيام للصغار و الكبار على حد سواء ، و كانت الأم في معظم الأحيان تروي قصصاً عن الشجاعة و الفروسية ، و عن حروب الأجداد و السّابقين ، و كانت بذلك ترمي إلى تعزيز السلوك القبلي ، و الانتماء إلى القبيلة أمّا في صدر الإسلام ظهرت القصة الدينية و كانت أخبار النبي صلى الله عليه و سلم و أعماله و أخبار الصحابة ، مادة دسمة و خصبة تستمد منها الأمّهات الحكايات لأطفالهن ، ثم كانت الفتوحات الإسلامية ، عاملاً في ظهور عددٍ من القصاصين أمثال "تميم الدّاري " و في

العصر الأموي و في عهد معاوية بن أبي سفيان ، استخدم القصص لنشر الدعوة السياسية في المساجد و غيرها ، و كانت أغراضها دينية ، أمّا في العصر العباسي فقد أدى الاختلاط بالأعاجم إلى امتزاج الثقافة الإسلامية بثقافات الفرس و الروم و اليونان و غيرهم و هنا بدأت تراجم " كليلة و دمنة " و " ألف ليلة و ليلة " و كان من أهم القصص التي ظهرت قصة " حي بن يقظان " لابن طفيل ، و قصة "سيف بن ذي يزن " ، و قصة " حي بن يقظان و عنتر بن شداد " حيث كانت هذه القصص تروى للكبار و الصغار معاً .6

أمّا عن العصر الحديث فقط كان للاختلاط مع الأوروبيين في مصر ، في عهد "محمد علي باشا" أثر في ظهور أدب الأطفال ، و ذلك حين قام "رفاعة الطهطاوي" مسؤول التعليم في تلك الفترة بإصدار قصته المترجمة التي منها " حكايات للأطفال " و " عقلة الإصبع" ، و بعد أن اطلع أمير الشعراء أحمد شوقي على أدب الأطفال خلال وجوده في فرنسا ، كتب قصصاً شعرية للأطفال على ألسنة الحيوانات و الطيور و كان منها " الصياد و العصفورة " و " الديك الهندي " و " الدجاج البلدي" و غيرها ممّا نُشر في ديوان الشوقيات عام 1903 . 7

و أخذنا مصر كنموذج لا يعني بالضرورة أنّ بقية الدول العربية لم يكن لها اِهتمامات بأدب الأطفال ، بل على العكس كان الاهتمام بأدب الأطفال و لا يزال في كل الدول العربية و لقد كانت الجزائر ككل الدول العربية لها اهتماماتها الخاصّة بهذا المجال حيث بدأ الاهتمام بأدب الأطفال في الجزائر قبل استرجاع السيادة الوطنية ، حيث نال هذا الأدب اهتمام المؤرخ " عبد الرحمن الجيلالي " و الأديب " أحمد رضا حوحو " و " محمد الأخضر السائحي " و يحي مسعودي " و" جمال الطاهري " و " محمد الهادي السنوسي " و غيرهم . ممّن كان لهم الإهتمام الواسع بهذا المجال .

و بعد الاستقلال بدأ الاهتمام بأدب الأطفال يخطو خطوات مقبولة ، فكانت الإذاعة و التلفزة الجزائرية تشجعان على إنتاج بعض المواد الموجهة للأطفال من خلال مجموعة من البرامج الهادفة منها "الحديقة الساحرة" التي كانت تسحر القلوب و العقول معاً ، و في الميدان السردي ظهرت كتابات كلّ من " رابح حدوسي " و " جميلة زنير " و " عبد العزيز بو شفيرات" و " عبد الحميد سقاي" و " عبد الوهاب حقي " الذين كتبوا مئات النصوص في هذا المجال .8

كل هؤلاء الكتاب حاولوا من خلال كتاباتهم الموجهة للأطفال أن يقدموا أدباً خاصاً بالجزائر ، من خلال تعدد الكتابات في هذا المجال ، حتى أنّهم لم يصلوا إلى الأهداف التي وصلت إليها الدول المتقدمة أو حتى بعض الدول العربية ، إلّا أنّهم حاولوا تقديم يد المساعدة إلى الطفل الجزائري و الأخذ بيده إلى بر الأمان ، أمّا فيما يخص " جميلة زنير" فقد كانت رائدة في هذا المجال ، من خلال السلاسل القصصية الجميلة كدائرة الحلم ، و العواطف ، و سلسلة الأقحوان , و هذا النوع من الأدب كغيره من الأجناس الأدبية الأخرى لا يخلو من المشاكل نوجزها فيما يلي :

مشكلات أدب الأطفال :

إنّ صناعة أدب الأطفال تدور دائما حول الجانب الفني و سيدور الحديث حول الخطاب الموجه للطفل و الوسائل الأدبية و الفنية التكتيكية المتتبعة لتوصيل هذا الخطاب ، ذلك لأنّ الطفل شديد الوعي و عليه فهو يكون دائما مطلعا إلى علم البناء الفكري و الثقافي ،و عليه أن يكون متمكناً من اللغة التي سيكتب بها هذا الأدب و قادراً على حفظ اللغة ، و أن يكون الكاتب في حدِّ ذاته مطلعاً على عالم الطفل ، يعرف ما بداخله حتى يستطيع الوصول إلى قلبه ،فكيف يكتب للطفل و كيف يصل إليه ، و ماذا يحب الطفل و ما حدود وعيه وثقافته ؟ كلها أسئلة تطرح عقبات شائكة تصل إلى تحقيق هذا النوع من الأدب فعالم الطفل هو تركيبة مزدوجة مشكلة من مجموعة المتناقضات القطرية بداخله يتحتم علينا تفكيكها و هي ثنائية "الخير و الشر" و" الحب و الكره" و " الطمع و القناعة" و القيم المتجددة هي المعين الذي يتناوله الكاتب ، فهو المدخل الأشدّ وضوحاً و الأقرب إلى وجدان الطفل وهو يحتفل كثيراً بالصور المبهجة و الأحداث الخرافية و المواقف الواضحة بلا لُبس ولا تعقيد .9

عدم اقتناع الكثير بهذا الأدب جعله محل اهتمام من طرف أولياء الأمور ضف إلى ذلك هناك مشكلات أخرى تتمثل في ارتفاع أسعار الطباعة . 10

– الخصائص الفنية للقصص الموجهة للأطفال

القصة (المفهوم و المصطلح) :

القصة لغةً تعني الخبر ، و هو القصّ و قصّ عليّ خبره ، يقصّه قصّاً ، و قصصا ، القصص الخبر المقصوص هو الحديث و البيان و يتبع الأثر منه قوله تعالى {و قالت لأخته قصّيه }

كأن يتبع معانيها و ألفاظها ، و القصّاص هو الذي يتبع الخبر بعد الخبر ، و يسوق الكلام سوقاً ، و ليس للقصة تحديدا ووضوحاً ، ولا مدلولا خاصاً في الكتب و المعاجم القديمة سوى أنّها الخبر المنقول شفوياً أو خطياً .11

و القصة عبارة عن مجموعة من الأحداث ذات صلة بشخصيات إنسانية، تختلف أنماط سلوكها و عيشها في الحياة، تماماً كما هي حياة البشر على الأرض، يرويها القاص بأسلوب مشوق ، فيشدّنا إلى الأحداث ، و يأسرنا حتى نظن أنّ ما يرويه قد وقع فعلاً ، و إذا كان القاص بارعاً في السرد و في حبك الأحداث و تعقيدها و في التحليل ، كتب لأبطاله بالخلود ولا يقاس نجاح القصة بضخامة الحادثة لأنَّ المهم هو التحليل الجيد للشخصيات و سرد الأحداث بأسلوب شيق و جميل يأسر قلب القارئ و يشدّه لمتابعة ما يجري بشغف و اهتمام .12

مفهوم قصص الأطفال :

تعّد القصة الموجهة للطفل من أقوى عوامل الاستشارة عند الطفل وهي إمّا أن تكون من الأدب المسموع بحيث يجد فيه الطفل لذّته و إمّا تكون أدباً مقروءًا و هي فن أدبي يتفق مع ميول الطّفل حيث يجد نفسه منجذباً إليه بطبعه و مشغوفاً به و بِاعتبارها من أمتع الفنون الأدبية فقد حظيت باهتمام بالغ على مرّ الأزمنة فهي تحمل تجارب الإنسان و خبراته و انتقالها للأخرين 13 ، و تمتاز القصة بأن لها قواعد و أصول و مقومات فنية ، و إستخدام القصة لأغراض دينية و أخلاقية و معرفية إضافة إلى إسعاد الطفل ، و في العصر الحديث فقد استخدمت كوسيلة تعليمية تربوية تثقيفية و ترفيهية و هي تهدف إلى إسعاد الطفل و تزويده بالعلم و المعرفة و تهذيب سلوكه و تنمية اتجاهاته الأدبية و الفنية , و تعد القصص من أهم الموارد القرائية المقدمة للطفل لتأثره بمحتوياتها 14 ، و هي لون رفيع من ألوان الأدب ، و قد كان لها حضور كبير في الآداب القديمة ، و هي اليوم تتمتع بموقع ذي أهمية كبيرة فهي فن من فنون الأدب له خصائصه و عناصر بنائه التي من خلالها يتعلم الطفل فن الحياة ، يسهم في بناء شخصيته فالقصة بروادها للكثر في الغرب و الوطن العربي و الجزائر على وجه الخصوص و بألوانها المتعددة باتت حاجة ملحة من حاجات الطفل .

أبرز روادها في الغرب :

إنّ القصة تعود بجذورها الأولى إلى الغرب ، و لقد أقر العديد من النّقاد أنّ القصة القصيرة ولدت في رحم " "جو جول" و في هذا السياق يقول " ترجنيف" لقد أتينا جميعاً من تحت معطف " جو جول " و في الوقت الذي كان يبرع فيه الروسي " جو جول" ، كان الكاتب الأمريكي " ايدجارآلن بو " يسعى لتشكيل عالم قصص جديد و ذلك من خلال الاستفادة من الرموز و الخيالات ، و برع في مجال القصة القصيرة إذ أجاد فيها و جاءت قصصه كلها قصيرة ، بعضها تحليلي و الأخر خيالي ، و يختلف أسلوبه عن " جو جول" حيث استخدم تقنية رياضية تنطلق من وصف المناخ الحضاري و تنطلق بالقارئ من عقلانية مدركة إلى عالم مجنون و انفعالات متوترة ، و في عناوين قصصه جاءت قائمة ، و كانت وجهة نظره التي دافع عنها دائما : " إنّ التهذيب و دروس الأخلاق لا مكان لها على الإطلاق في الإبداع الفني " 15 ، و يمكننا القول بأنّ القصة القصيرة لم تشهد انجازاً حاسما في مسيرة تطورها التقني بعد ذلك إلّا على يد الفرنسي " جي دي موباسان" و الروسي " أنطوان تشيكوف" و ذلك في النصف الثاني من القرن التاسع عشر

أبرز روادها في الوطن العربي :

إنّ القصة القصيرة ترعرعت بتأثير من الأدب الأوروبي مباشرة و ذلك منذ أن أخذ العرب يتصلون بالعالم الغربي سواء بواسطة المبشرين و المحتلين أو رجال المال و التجارة ، الذين وفدوا إلى بلاد العرب , أو من خلال البعثات العلمية التي أوفدتها إلى البلاد الغربية ، و كان هذا التأثير إمّا عن طريق الترجمة و إمّا عن طريق القراءة في اللغات الأصلية للآداب الغربية و قد برز مجموعة من الرواد الذين أبدعوا في هذا المجال " الحسين فوزي" ، " يحي حقي" و " نجيب محفوظ" و غيرهم أمّا في الجزائر فقد كان لها مبدعون من أمثال " محمد ناصر" الذي أخذنا نماذج من إصداراته القصصية كالنموذج عن أعماله القصصية للأطفال.

الخصائص الفنية للقصص الموجهة للأطفال :

البناء في قصص الأطفال :

1 الفكرة الرئيسية : و هي التي تجري أحداث القصة في إطارها و حسن اختيار هذه الفكرة يمثل الخطوة الأولى في طريق وضع قصة ناجحة ، ومن المهم أن يتوفر للكاتب ووضح تصوري كامل

لفكرة قصته ، لأنّ هذا يمثل الأساس الذي تبنى عليه مختلف العمليات الفنية الأخرى ، و نجاح الفكرة متوقف على المستوى الفكري للقراء و درجة نموهم النفسي و تفاوت أعمارهم . 16

2 البناء و الحبكة : إذا ما اتضحت الفكرة في ذهن المؤلف فإنّ عليه أن يضع سلسلة من الوقائع و الحوادث تكون بنية قصته هذه بنية سليمة سوية ، متماسكة محبوكة حبكة فنية ، تجعل منها عملاً ناجحاً و الحبكة تتطلب من القارئ ذكاء و ذاكرة ، لأنه إن لم يتذكر فلن يستطيع الفهم ، و لن يستطيع أن يجمع شتات الحوادث و الوقائع ليدرك بذكائه ما بينها من ارتباطات و الحبكة بعبارة أخرى هي إحكام بناء القصة بطريقة منطقية مقنعة لأنها هي القصة في وجهها المنطقي و أن تكون الحوادث و الشخصيات مرتبطة ارتباطاً منطقياً يجعل من مجموعها وحدة متماسكة الأجزاء 17 ، و يشترط في أدب الأطفال أو قصصهم أن لا تكون الحبكة معقدة و أن تتماشى و مدركاتهم العقلية كي لا تكون صعبة المنال للطفل .

3 الحل أو النهاية : بعد التشابك و التعقيد تتجه أحداث القصة نحو الانفراج من خلال مصير الشخصيات و هي ما يطلق عليها النهاية أو لحظة الانفراج و هي مرتبطة ارتباطا عضويا ببدايتها حتى لا يتفكك نسيج القصة و لا بناؤها ، لأن تطور الحدث ضروري في دفع مجراها إلى هذه النهاية التي تحدد معنى الحدث و تكشف عن دوافعه ، و ليست النهاية عملية ختم لأحداث القصة ، بل أنّ فيها التنوير النهائي للعمل القصصي الواحد المتماسك ، و من خلالها يقع الكشف النهائي عن أدوار الشخصيات و يطلب إلى الكاتب الابتعاد عن النهايات المفاجئة ، أو النهايات غير المقنعة . 18

الموضوعات القصصية و الخصائص الفنية للقصة عند محمد ناصر :

1 الموضوعات القصصية :

إنّ الغرابة في عالم الطفل حيث جنوحه للقصص بطريقة تثبت لنا تلهفه ، و بالخصوص القصص التي تصدر على لسان الحيوان أو بعض من القصص الخيالية ، و كذا قصص المغامرات و" التي تزيد هذا الأمر شوقا في نفسيته حبّه في الاطلاع "، 19 و مثالنا على ذلك في القصة التي تحمل في طياتها شيئا من التحسر للطفل و ندمه " كالقتل الذي واجهه صغار الحمامة من طرف الفيل "، 20

و كذا " محاولة نزع قلب القرد من طرف الغيلم " 21 ، و أيضاً قصة " اللقلق الماكر" 22 ، و ما حوته هذه الأخيرة من المغامرات و التي قد يتعلم منها الطفل أشياء " كالتمييز بين ما هو خير و ما هو عكس ذلك" 23

فالكاتب محمد ناصر في قصصه الموجهة للطفل ، أراد أن يظهر كل ما هو خفي في هذا العالم ، و هو يكتب للطفل بوضوح و شفافية تباشر أذهان الأطفال المتلقين ، فالقصة هي أحد منابع التربية للطفل و ذلك لما تحتويه من قيم و مفاهيم تربوية و ثقافية مؤثرة و التي قد حرص هؤلاء من الباحثين على تطويرها و تطعيمها بالإبداع الفكري و البناء الهادف ، فالقاص محمد ناصر قد صاغ مواضيعه القصصية في قوالب إسلامية ممتازة تتوافق و الشروط الدينية الواردة في القرآن و السنة ، كونها بمثابة قصص تحمل في طياتها انواع الحيوان ، و كذا النص القرآني و البعض الأخر من السير و التي كتبها بدوره لتكون للطفل مرفق للتعليم ، فالقصة عند الكاتب محمد ناصر هي كون صغير للطفل إذ يشع بنوره لإضاءة ما حوله بتعاليم الدين و التي تبدي له المسلك السوي و الوجهة الصحيحة ،و تبعده عن الأعمال القبيحة و عن الرذيلة ، ساعياً من خلال قصصه لإبراز المواقف ذات الصلة بديننا الحنيف و قد استطاع الكاتب محمد ناصر في جل كتاباته القصصية سواء كانت دينية أو اجتماعية أن يسيطر على الفكر الطفولي باستعماله لأساليب مميزة في الجذب فمثلا عند تصفحنا نجد الكاتب قد برع في عالم الطفل ،من حيث استعمالاته و مراعاته للحجم و الجودة الورقية المستعملة في الكتابة ، و المشاهد و الرسومات الداخلية و على الغلاف ، فعند اختيار الطفل لقصة معينة من قصص الكاتب المستوحات هي الأخرى من الواقع يعود بهم التفكير إلى أزمنة و عصور مضت و مثال ذلك في مشاهد و قصص الأنبياء و المرسلين منهم ، و من الملاحظ أنّ الكاتب في تصويره للمشاهد و الحقائق يقويها بروابط أسلوبية قوية تزيدها تشويقاً حيث يصور المشهد للطفل و كأنه مرئي .

2 الخصائص الفنية للقصة عند محمد ناصر :

من الضروري أن يكون ، القاص على علم و دراية بمحيط الطفل ، ممّا يجعله يعكر صفو حبه للاطلاع ، و لهذا فالقاص يجب أن تكون له قدرة قوية على استمالة الطفل نحو القصة المكتوبة ، و يكون له أسلوب جذاب و قوي ، و كان هذا حال كاتبنا محمد ناصر الذي استطاع من خلال أعماله الأدبية الموجهة للطفل أن يفك هذا الصراع بمميزات دقة الوصف و روعة التصوير ، 24

و ذلك بمناهج تتلائم و مراحل الطفولة و احتياجاتها و من الخصائص القصصية التي تميز بها الكاتب محمد ناصر عن غيره هي :

1 الإيجاز : القاص محمد ناصر انتهج منهجاً مميزا في تقديم قصصه حيث نجده درس قدرة الطفل في استيعاب موضوعاته و مراعيا ما قد يصيب الطفل من هروب و نفور ، فنجده استعمل السهولة و البساطة في أفكاره في حين أنها توفي بالغرض المنشود فلا غموض و لا لبس فيها ، و مراعياً أيضاً مواضيع القصص و التي كانت هي الأخرى

جديرة بالإيفاء في مناص القيم و الأخلاق ، هذا و نلاحظ أنّ الكاتب محمد ناصر استعمل الايجاز و التقصير ، بكتابة أجزاء قصصية قصيرة تستوفي الشروط ، و متطلبات الطفل ، و مثال ذلك سلسلة " القصص الحق "التي سرد فيها قصص الأنبياء و سيرهم ، وسلسلة " الأنيس للفتيان " كل ذلك كان أسلوباً في نفسية الكاتب .

2العنصرة القصصية : نلاحظ في هذا العنصر أنّ الكاتب محمد ناصر قد اتجه وجهة خاصة في بنائه القصص الموجهة للطفل ، مراعياً بذلك مخالفة المعايير القصصية ، و استدراجها نحو الأفضل جاعلا في ذلك قسمة تعطي للطفل نظرة معاكسة عما يجول في فكره ، كما هو الحال معه في التقسيمات الواردة في سلسلة " القصص الحق" 25 و التي تحوي قصص الأنبياء التي مس فيها الكاتب بهذا التقسيم ، ما زاد الطفل تلهفا على الاطلاع .

3 الأسلوب المستعمل : استقى الكاتب محمد ناصر جل أسلوبه من " القرآن الكريم و السنة النبوية " و هذا ما زاده قوة و صلابة ، و وضوح ، و ابهارا يزيد الطفل وعياً و إقبالاً ، و حب الاطلاع ، و هو الذي يعطي للقصة جوّها و يظهر المشاعر الموجودة فيها و هو الذي يعكس مجريات القصة . 26

كما انتقى محمد ناصر عباراته من مصادر إسلامية موثوقة ، موظفاً إيّاها قصصه لاتسامها بالسهولة اللفظية ، و العذوبة و قد استعمل محمد ناصر أسلوب التشويق الذي يجالس به كيان الطفل الوجداني و الروحي ، و بلغة الخطاب المباشرة و بلغة الكفل البسيطة معتمداً " الوعظ و الإرشاد و النصح" و يناسب الأطفال و يناسب قاموسهم اللغوي 27

4 القاموس اللغوي : لقد قام محمد ناصر في مجموعاته القصصية ، بكتابة بعض الكلمات بنوعية في الخط مميزة عن باقي الكلمات و العبارات و ذلك للعودة و الشرح في الأخير ، حتى تكون هي

الأخرى مفهومة لدى الطفل و لا يجد غموض في فهمها و لا حتى للموضوع القصصي و مثال ذلك في كتابتهالتي لاقت الشرح و جرى " الفأر الكذاب" يحاول الهرب و الانفلات من القط غير أنّ القط كان أشطر و أقوى فأوصد دونه الأبواب ، 28 اطلق الكاتب على قاموسه قاموس المفردات الغريبة ، كما يقوم أيضا بتحديد الرقم للآية القرآنية المستعملة ضمن أفكاره لتأكيد موقفه .

5 لغة القصص : استعمل لغة سهلة خالية من التعقيد يستطيع من خلالها الطفل التمتع بالقراءة مع الفهم المستمر و قد توافقت النظرة اللغوية للكاتب مع المنظور اللغوي و تقترح في الدراسات الأدبية النثرية

6 المميزات الفنية : أدب الطفل عند محمد ناصر ميزة خاصة عن باقي الآداب الأخرى تتمثل في :

1 مسّ محمد ناصر جلّ الأبعاد القصصية بما فيها الدينية التربوية الاجتماعية مستعملا الأسلوب الخطابي البسيط المباشر البعيد عن كل التعقيدات

2 اعتماده الرمز في مجموعاته القصصية في كل الإتجاهات كونه سهم ثاقب في نفس الطفل و نجد ذلك في قصة " الفيل الظالم " و " الفأر الكذاب " ... ممّا يؤهله أن يكون صاحب نزعة دينية واقعية

القيم المسندة للإنتاج القصصي لمحمد ناصر :

– تأثر محمد ناصر بمجموعة من القيم الإسلامية و التي تعطي للعمل نظرة خاصة على غرار كتّاب أخرين ، مستعملا ضده القيم من مصادرها الدينية الموثوقة و ما جاءت به من ترغيب و ترهيب و من هذه القيم :

1–القيم الاجتماعية : الكاتب محمد ناصر قد عايش الأحداث في أوساط المجتمع الذي ترعرع فيه ، في حين أن القصة كانت اجتماعية مهتمة بالناس و قضاياهم و قد ألمّ بأعماله التي اشتملت على جل المفاهيم للقيم الاجتماعية مجسداً إيّاها في مجموعته القصصية المعنونة ب " عقوق الوالدين " و ما ترتب عنها من قيم اجتماعية و كذلك قصة " البر بالوالدين

2 – القيم الدينية : جل قصص محمد ناصر كانت تهتم بالجانب التربوي و الأخلاقي ، و أنّ المصدر الذي كان يأخذ منه كل عباراته و معانيه التربوية هو " القرآن و السنة النبوية " كون الإسلام و تعاليمه يوضح معالم التربية للطفل و يقوم الأساس التربوي للأطفال على مفهوم المسؤولية أمام الله عز وجل و القيام بأداء الأمانة و قد جسد جل أعمال بالقيم الدينية

3 القيم الفنية : محمد ناصر لم يغفل عن الجانب الفني في قصصه فقد حافظ بها على الشكل القصصي و مدى تطابقه مع المضمون ، مراعة منه للنظرة الفاحصة لمقتضيات الأدب من حيث " الأسس و القواعد البنائية المتكاملة و قد تشكلت هذه البنية من جمل بسيطة و ليست مركبة تتألف من كلمات مألوفة " 29 و هو لا يباعد بين ركني الجملة حتى تتواصل الأفكار في اتساق و نمو ، و ليس هناك جمل اعتراضية " تعوق هذا النمو و ذلك الاتساق " 30 و هو يعيب الاهتمام بالمضمون و اهدار الشكل ، خصوصا فيما قد يمليه فكره الأدبي ، و بالأحرى من جوانبه القصصية .

أثر القصة في تعليم اللغة للأطفال و تربيتهم:

القصة وسيلة فعالة من وسائل التربية الحديثة ، لذا ينبغي أن يتعلمها الأطفال لأنها تحقق أهدافاً تربوية كثيرة منها :

– تتيح القصة للأطفال فرصة للفهم و الاستيعاب. بما يحتويه أسلوبها من إغراء ينجم عنه نمو شخصية الطفل و تطورها في الجوانب العقلية و الخلقية و الاجتماعية بما تشمله هذه القصص من معارف و علوم .

– تفيد في إبراز كثير من مواهب الأطفال و مهاراتهم لأنّها تنمو بخيالهم لما فيها من عنصر الخيال كما أنّها تعوّدهم الشجاعة في مواجهة الأخرين و التحدث مع الجماهير .

– تنمي لغة الطفل و تهذب أسلوبه و ترقيه. و ذلك من خلال سرد المعلم القصة و اصغائهم له بانتباه شديد .

– تزوّد السامع أو القارئ بالمتعة و اللذة و ذلك عندما يعرف اللغز و يصل إلى مرحلة الانفراج و هذا ما يثير في الأطفال حرصهم على التعلم و الإقبال عليه .

– تبحر بالأطفال في أسرار العالم ، فتشبع حاجاتهم من الوقوف على عادات المجتمعات و تقاليدها ، و ما فيها من مشكلات ، مما توسع دائرة معارفهم و ثقافتهم. 31

الخاتمة :

لقد رأينا من خلال ما سبق أن القصة تحتل المقام الأول بين الفنون الأدبية بالنسبة للطفل لما لها من بصمة قوية على شخصية الطفل و أهمية ما تغرسه من اتجاهات إيجابية و قيم سامية تسهم في تأهيله لتحمل مسؤولياته المستقبلية و جعله لبنة صالحة في بناء أمته ومجتمعه و قد وجهّت عنايتي للقصة النثرية المكتوبة في مجموعة أعمال محمد ناصر و الذي يحتل الصدارة بين أعلام أدب الأطفال في الجزائر و قد أفنى هذا الكاتب جلّ حياتي في خدمة الطفل و أدبه ، و انطلق فيما يكتبه من منطلقات إسلامية عربية حيث قدم أدبا ثريا يستحق الوقوف عنده و قد أكد البحث أنّ أدب الطفل هو جزء من أدب الكبار غير أن له. ما يميزه من خصائص و سمات ، كما أثبتت الدراسة أن أديب الأطفال يحمل على كاهله عبء تربية و تعليم الأجيال بتسخير فنه لصقل حياتهم بما ينفعهم ، و أنّ القصة باب واسع يمكن للأديب أن يدلف منه إلى عالم الصغار لتحقيق مآربه ، و تبين كما أن الكاتب محمد ناصر في مضامين قصص الأطفال هاته أخذ بنوع من التجديد ، حيث قام بصب مجمل قصصه في قالب ديني و تربوي جعلت الطفل يقبل على موضوعاته متأثراً بطريقته المحكمة في الكتابة و كذا استعماله للأسلوب الذي جعلهم ينجذبون نحو كتاباته بلغته الفصحى و البسيطة و السهلة ، كما استعمل محمد ناصر الحوار إضافة إلى السرد و الذي قام من خلاله بربط الأحداث و تسلسلها علما بأن كل قصة من قصصه لم تأتي من. فراغ و لم تكتب بمحض الصدفة إنما لها ركائز و دعائم قوية الصلة ، التي حرص الكاتب على تأديتها و ايصالها للنشء على شكل قصة مشوقة .

الإحالات :

1 – سمير عبد الوهاب أحمد ، قصص و حكايات الأطفال و تطبيقاتها العلمية ، دار المسيرة للنشر و التوزيع ، عمّان ، ط 1 ، 2004 ,ص 45

2 يوسف مارون ، أدب الأطفال ، النظرية و التطبيق حسب النظام التعليمي الجديد ، المكتبة الحديثة للكتاب ، لبنان ،ص 15:

3 – أحمد زلط ، الأدب العربي للطفولة (دراسة تحليلية لأدب الطفل في الوطن العربي) ، هبة النيل للنشر و التوزيع ، 2009 ، ص 17:

4– الربعي بن سلامة ، من أدب الأطفال في الجزائر و العالم العربي ، دار يونيفارسيتي براس ، صدر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة الجزائرية ، ط1 , 2009 ، ص 39–40

5 – المرجع نفسه ص 41

6 – جاسم محمد عبد الحميد ، أدب الأطفال في المرحلة الابتدائية ، دار صفاء للنشر و التوزيع ، عمّان ، الأردن ، ط1 ،2006 ، ص 253

7 – جاسم محمد عبد السلامي ، طرائق معاصرة لتدريس أدب الأطفال ، دار أسامة للنشر ، ط1 ، 2011 ، ص 35

8–بشير خلف ، كالتابة للطفل بين العلم و الفن ، وزارة الثقافة ، الجزائر ، 2007 ، ص 46 – 47

9 هبة محمد عبد الحميد ، أدب في المرحلة الابتدائية ، دار صفاء للنشر و التوزيع ، عمّان ، ط1 ، 2006 ، ص 52–53

10 –المرجع نفسه ص 53

11– العيد جلولي ، النص الأدبي للأطفال في الجزائر ، دراسة تاريخية فنية في فنونه و موضوعاته ، 2003 ، ص 52

12 – أنطونيسبطرس ، الأدب – تعريفه ، مذاهبه – ، المؤسسة الحديثة للكتاب ، لبنان ، 2005 ، ص 153–154

13 – سمير عبد الوهاب أحمد ، أدب الأطفال ، قراءات و نماذج تطبيقية ، دار المسيرة للنشر و التوزيع ، عمّان ،ط1 ، 2006 ، ص121

14 – رافدة الحريري ، بلقيس الحريري ، التربية و حكايات الأطفال ، دار الفكر ، عمّان ، ط1 ، 2009 ، ص 205 –206

15– أوشن وارين ، نظرية الأدب ، تر : محمد الدين صبحي ,المجلس الأعلى لرعاية الفنون و الأداب ، دمشق ، 1972 ، ص 25

16– أحمد نجيب ، دراسات في أدب الأطفال ، في الكتابة للأطفال ، دار إقرأ ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1983 ، ص 173

17– إيمان البقاعي ، المتقن في أدب الأطفال والشباب ، ص152

18 – شريبط أحمد شريبط ، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة ، دار القصبة للنشر ، 2009 ، ص 39–40

19 بنظر ، محمد مرتاض ، قضايا أدب الأطفال ، ص134

20 – محمد ناصر ، الفيل الظالم

21 – محمد ناصر ، القرد الطماع

22–محمد ناصر ، اللقلق الماكر

23– بنظر ، محمد مرتاض ، قضايا أدب الأطفال ، ص134

24 – محمود تيمور ، فن القصص ، دراسات في القصة و المسرح ، مكتبة الأداب ص30

25 –محمد ناصر ، القصص الحق

26– عبد الفتاح أبو معال ، أدب الأطفال ، دراسة و تطبيق ، ط2 ، عمّان ، الأردن ,1988 ، ص 41

27– المرجع نفسه ص41

28 – محمد ناصر ، الفأر الكذاب

29 – سعد أبو الرفا ، النص الأدبي للأطفال ، أهدافه و مصادر ، عمّان ، الأردن ، ط1 ,ص 162

30 المرجع نفسه 162

31 – عبد الرحمن عبد الهاشمي و آخرون ، أدب الأطفال – فلسفته و أنواعه– ،دار زهران للنشر والتوزيع ، عمّان ، ص 223